مشروع رائد لتعليم الكبار في مدينة الصدر

علي المالكي

مجموعة من ابناء مدينة الصدر في مؤسسة الشهيد كاظم عبد النبي الثقافية، تحركت لمحاربة الامية، والقضاء على الجهل المتفشي، وتكللت جهودهم بافتتاح مدرسة لمحو الامية وتعليم الكبار في مدينة الصدر، هذه التجربة الشعبية شكلت صورة مضادة للصورة المشوهة التي تريد بعض الفضائيات تكريسها عن ابناء شعبنا النبيل: صورة الحرامي، والسياف، والقاتل ، وقاطع الطريق.

بين الشك واليقين

وحين زرت مؤسسة الشهيد كاظم عبد النبي الثقافية في مدينة الصدر، وتحدثت مع بعض اعضائها لم اكن اصدق ان هؤلاء الشباب قد استطاعوا ان يتجاوزوا كل هذه الفوضى المحيطة بهم، ويقيموا مشروعاً لاعادة اعمار الانسان العراقي، فما رأيته خلال عامين واحتكاكي بالعشرات من المؤسسات غير الحكومية التي تزعم انها (ثقافية) جعلني يائساً فلم اجد مؤسسة واحدة بادرت بفتح صف لمحو الامية وتعليم الكبار: وقد سرح ذهني حين أخبرني السيد فلاح حسن شنشل الحميداوي نائب رئيس مؤسسة الشهيد كاظم عبد النبي عضو الجمعية الوطنية، ان المؤسسة قد افتتحت مدرسة لمحو الامية وتعليم الكبار، وانها قد خرجت دفعتين وكل هذا بهدف تنوير الناس والارتقاء بمستواهم الثقافي، وقررت زيارة المدرسة، وهكذا بعد اسبوع عدت لزيارة المدرسة برفقة السيد رزاق جبار مدير المدرسة.

البداية

وفكرة المدرسة اساساً كانت واحدة من احلام وافكار الشهيد كاظم عبد النبي -رحمه الله- ولذا سميت المؤسسة باسمه وبعث الفكرة وأحياها أصدقاؤه وفاءً لكاظم الميت الحي، الغائب جسداً والحاضر بكثافة في عيون شباب الصفوف الثلاثة التي تتألف منها المدرسة، وكان مؤسسها (كاظم عبد النبي) الشاب الذي امن بقيمة المعرفة والعلم والعمل الحقيقي من اجل خدمة الفقراء والضعفاء من ابناء الشعب، وتقع المدرسة في قطاع (٣٥) ويشغل المشروع التعليمي، ثلاثة صفوف مملوءة بالطلاب الذين تراوحت اعمارهم بين (١٢-٣٥) سنة، ويبدأ الدوام في الثامنة والنصف مساءً وينتهي في العاشرة ليلاً.

ومع ان المدرسة تغرق في الظلام حين تنقطع الكهرباء، الا ان المؤسسة تجنبت ذلك بشراء مولدة، لقد شعرت بان نور الكلمات المنعكس على وجوه ابنائنا وهم يعودون للمدرسة من اجل تعلم القراءة والكتابة هو الذي كان يضيء المكان.

طلاب بيوتهم في اطراف مدينة الصدر جاءوا لهذه المدرسة وفي هذا الوقت من اجل ان يتعلموا، تحركهم دوافع مختلفة، ومعظم الطلاب مكلف باعالة عوائلهم، فهم يكدحون في النهار من اجل الرزق الحلال ويتعلمون في الليل، وجوه مشرقة ومتفائلة بالمستقبل.

تعاون وزارة التربية

هذه التجربة تميزها يعود الى كونها من صنع افراد الشعب، ولم تكن (فوضوية) اذ حرص القائمون بها على ان تكون قانونية وبالتعاون مع الجهة الحكومية المسؤولة عن التعليم والتربية في الدولة وما كان لهذه التجربة ان تنجح لولا تعاون الشرفاء في وزارة التربية التي شجعت مؤسسة الشهيد كاظم عبد النبي الثقافية.

وقد تحدث السيدان محمد النجار المسؤول الاداري عن المؤسسة ورزاق جبار مدير المدرسة عن هذا الجانب من التجربة مشيرين الى ان المؤسسة بدأت من الصفر، ولما كان الاهم بالنسبة لها هو رفع مستوى الوعي الثقافي لابناء مدينة الصدر، الوعي الذي يجعلهم قادرين على ادراك ما يجري من حولهم من احداث فقد عملت المؤسسة على تنفيذ برنامجها لتعليم الكبار في مدينة الصدر، فالتقينا بمعاون الهيئة الثقافية في مكتب الشهيد الصدر، ودعم الرجل برنامجنا وشجعنا على تنفيذه، كما اتصلنا بالسيد حسين ناصر الساعدي معاون مدير تربية الرصافة الثالثة وفاتحناه بالمشروع وابدى استعداد المديرية والوزارة لدعم مثل هذا المشروع الحيوي.

اضافة الى السيدة شروق المسؤولة في قسم تعليم الكبار في تربية الرصافة، وقد ساعدتنا على تهيئة المدرسة. ان ترحيب المسؤولين في الوزارة شكل دافعاً قوياً للاستمرار بالمشروع، وقد افتتح في ٢٠٠٤/١١/١ في هيكل لفرقة حزبية تابعة لحزب البعث المقبور في قطاع (٤٧) تم تحويلها الى حسينية والتحق في البداية صف واحد من الطلاب ثم تحولنا الى مدرسة الامير علي في قطاع (٣٦) والنقلة الاخيرة للمدرسة بعد مراجعات في مدرسة قطر للبنين في قطاع (٣٥) .

وقد اطلعنا على المدرسة والتجربة اسم مشروع الشهيد كاظم رقم (١١) لتعليم الكبار.

واضافا: ان المدرسة خرجت دفعتين حتى الآن وبلغ عدد الطلاب الذين تعلموا القراءة والكتابة (٤٠٠) طالب من مختلف الاعمار، وقد باشرنا بالدورة الثالثة والمؤلفة من ثلاثة صفوف.

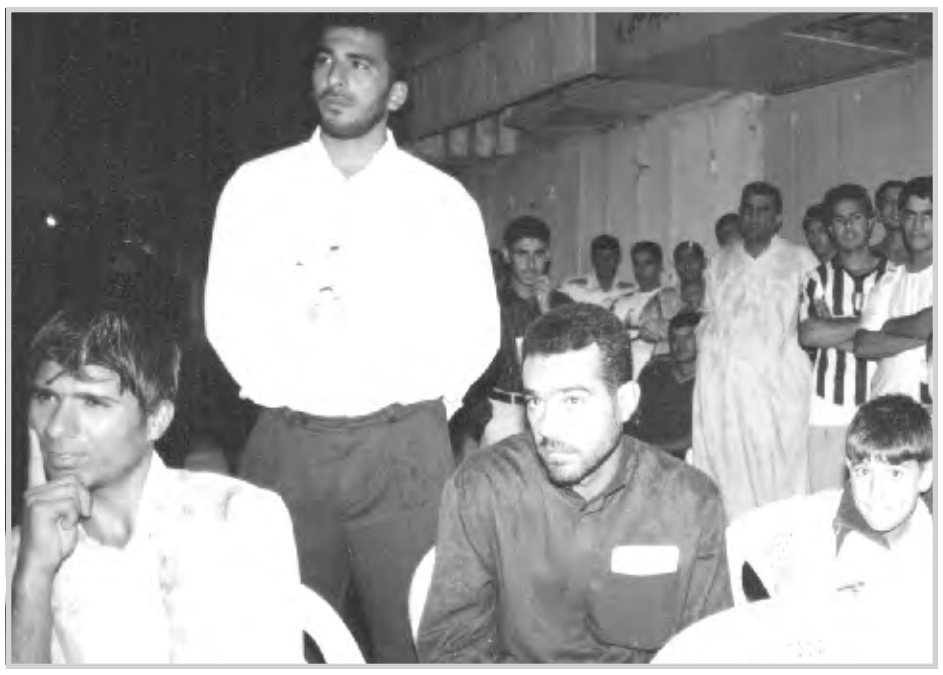

-المعلمون : خير الناس من نفع الناس

- الطلاب: نعمل في النهار ونتعلم في الليل

خير الناس من نفع الناس

المعلمون في هذه المدرسة تطوعوا للعمل مجاناً ولسان حالهم هو خير الناس من نفع الناس وهم يؤمنون بعمق ان تعليم الانسان وتهيئته للتعايش في مجتمع ديمقراطي لابد ان يبدأ من اعداد شخصية وتعلم القراءة والكتابة شرط ضروري لبناء شخصيته، قادرة على الحوار والتفاهم وتمثل الافكار والتمييز بين الاسود والابيض، فضلاً عن ان القراءة تساهم في معرفة تفاصيل وافكار دينية والاطلاع على تجارب الاخرين. ويشعر المعلمون في المدرسة بالسعادة في ما يقدمونه من خدمة لابناء مدينة الصدر.

السيد عبد الزهرة جاسم حاصل على الدبلوم، ويعمل كاسباً، وقد تطوع (معلماً) يقول عن تجربته في محو الامية وتعليم الكبار بمدرسة الشهيد كاظم عبد النبي (لقد تطوعت من اجل تعليم اخوتي من ابناء مدينة الصدر وانا سعيد لانني اسهمت في تخريج الدورة الاولى، وهذه هي الدورة الجديدة التي اشارك في تعليمها القراءة والكتابة، وأقوم بعملي هذا لوجه الله تعالى، وما ينقصنا الكتب، والمشروع ناجح ١٠٠٪ وها انت ترى الصف مملوءا، اما السيد عبد الجبار ياسر محسن المعلم الثاني فهو طالب في قسم اللغة العربية في كلية التربية يقول (تطوعت للتعليم في هذه المدرسة منذ ثلاثة اشهر ولاحظت ان تفاعلاً رائعاً بيني وبين الطلبة مما ساعدني على تعليمهم بسهولة، ولاحظت حماسة منهم جعلتني انشد أكثر الى تعليمهم، واتمنى ان تفتح مدارس اخرى في بقية مدن العراق).

نماذج من الطلاب

اكرم محمد شاب عمره (١٨) سنة صاحب كشك يقول قبل ثلاثة اشهر لم أكن اعرف حرفاً واحداً والان بفضل مدرسة الشهيد كاظم عبد النبي بدأت بقراءة الجرائد ولم يعد الأهل يعيرونني لاني الوحيد من اخوتي لم اكمل دراستي، واشكر المعلمين والمؤسسة على جهدهم في تعليمنا. وسام خالد (٢٤) سنة يعمل في نصب (الستلايت)، يقول كنت اشعر بالحرج من كوني امياً وانا شاب فقررت ان التحق بهذه المدرسة وسوف اكمل دراستي بعون الله.

اما اثمار قيس (ذكر ١٩ سنة) احد طلاب المدرسة ويعمل خياطاً يقول دخلت المدرسة منذ شهر وبدأت بتعلم القراءة والكتابة، انها تجربة ناجحة واشكر المسؤولين في المؤسسة وبارك الله فيهم، ففضلهم لا ينسى . استطيع اليوم قراءة الكلمات الكبيرة بسهولة، وانصح اقراني الذين في عمري بالتسجيل في المدرسة ليتعلموا القراءة والكتابة فمن لا يعرف القراءة والكتابة كالاعمى، ونشكر كذلك وزارة التربية لانها يسرت فتح المدرسة، ان هدفي ان أصبح مصمماً للأزياء ومن دون القراءة والكتابة لا يمكن ان اكون مصمماً ولهذا دخلت هذه المدرسة .

كرار فاخر (١٤ سنة) يسكن مع أجداده ويعمل مع خاله البزاز يقول: انا من سكنة الكوت وأعيش مع اجدادي وقد انقطعت عن المدرسة بعد وفاة والدي والآن توفرت لي الفرصة فسجلت في هذه المدرسة.

السيد قاسم مجيد (٣٤) عاماً يعمل كاسباً في سوق مريدي قال: اخجل لأنني لا اعرف القراءة والكتابة واشعر بالحرج حين اراجع الدوائر الرسمية، وعندما اخبرني صديقي بهذه المدرسة جئت وسجلت وسيكون بوسعي تعليم اطفالي مستقبلاً. احمد عبد العباس كاظم (٢٨) عاماً متزوج يقول دخلت المدرسة قبل (١٥) يوماً وبفضل الاخوة في مؤسسة الشهيد كاظم عبد النبي الثقافية سأتعلم القراءة والكتابة .

واخيراً السيد خير الله كاظم (٣٥) سنة موظف في وزارة الصناعة والمعادن يقول: لدي خمسة اطفال وفكرت في تعليمهم لذا قررت ان اتعلم القراءة والكتابة.

المعلم بشير صابط خريج معهد المدربين واحد المتطوعين في المدرسة يقول ان تعليم الكبار تجربة رائعة ولقد توسعت دائرة أصدقائي بفضل هذه المدرسة واعتقد ان على المجتمع ان يقضي اولاً على امية القراءة والكتابة ومن ثم يبدأ في القضاء على امية الكومبيوتر.

وماذا بعد التخرج؟

سألت محمد النجار المشرف على المشروع قال (المفروض ان من يتأهل ويتعلم القراءة والكتابة يحصل على الشهادة وقد فاتحنا وزارة التربية بهذا الصدد ومن المؤمل ان نحصل على موافقة الوزارة بمنح شهادة تخرج ابتدائية لمن يدخلون المدرسة ويخضع لاختبار التخرج. وتفتقر المدرسة الى الملاكات التدريسية المتخصصة وضعف الدعم المادي، انها البداية وإن شاء الله تتطور التجربة.

محنة العراق اليوم.. بين الإرهاب والاحتلال

لا سبيل للخلاص منهما سوى بالوحدة الوطنية

حسين ابو المعالي

طوبى لنا نحن العراقيين برجال أشداء عاهدوا اللّه والوطن على تدمير هذا الوطن وحرق خيراته وتفجير بناه التحتية ونهب اقتصاده حتى لا يتمكن العدو المحتل- حسب ظنهم - من استثمارها واستغلالها لمصلحته.

طوبى لنا برجال بسلاء أبت نفوسهم الشريرة وضمائرهم الميتة إلا أن يعملوا في الظلام تحت راية ما يسمى مجازا بالمقاومة ، وهم أبعد ما يكونون عن المقاومة الشريفة ، إذ يتوهمون بأنهم سيحمون العراق وأهله من الاحتلال والمحتلين بقتلهم خيرة أبناء هذا الوطن من أطباء وشعراء وكتاب وعمال و شرطة ورجال قانون وفكر.

شكرا لكم، وأقولها على لسان الشعب العراقي المقهور بأفعالكم التي لا تخدم سوى المحتل، أقولها بصفتي مواطنا عراقيا اكتوى بفجيعة مذابحكم التي قتلت فيمن قتلت أخي القاضي النزيه والمربي الكبير المفتش العام في وزارة التربية سابقا الشهيد مهدي أبو المعالي ونجله الشاب الودود المحامي الشهيد هاني أبو المعالي، لا لذنب سوى انهما فضلا خدمة الوطن بصمت، ورهانهما كان الثقة في انتصار الوطن، لا للمحتلين ولا للمخربين، أقول: نحن نصفق لكم بأشلاء قتلانا الأبرياء التي تتطاير وتتناثر في شوارع المدن العراقية كل يوم بفعل سياراتكم المفخخة وأحزمتكم الناسفة، شكرا لكم على شهامتكم الرجولية التي لا تضاهيها شهامة أخرى في العالم، عندما تتركون المحتل، العدو الحقيقي يسرح ويمرح، وتستهدفون أبناء جلدتكم من العزل، أطفالا ونساء وشبابا وشيوخا بحجة المقاومة، وشكرا لكم مرات ومرات لأنكم احتضنتم مجموعة من المرتزقة من الكفرة العرب والمدعين زورا بأنهم مسلمون وسمحتم لهم بأن يرتكبوا أفظع الجرائم بحق الشعب العراقي الذي تنتمون إليه.

شكرا لكم لأنكم رفعتم اسم العراق إلى الهاوية عبر ممارسة الخطف والذبح الوحشي الهمجي للشخصيات المدنية، ورجال الأعمال ورجال الصحافة، خصوصا مع النساء، عربا كانوا أم أجانب، تلك الممارسات اللاإنسانية التي أساءت إلى سمعة العراقيين والعرب والمسلمين في الخارج بشكل لا نحسد عليه، فكل شعوب العالم العربي والأوربي رفضت الحرب على العراق ووقفت استنكارا وتظاهرت احتجاجا ضد أمريكا وحلفائها تضامنا مع العراق والعراقيين، فليس من الوفاء أن نتعامل مع أبناء تلك الشعوب بهذه الوحشية ونمارس فعل القتل معهم وهم ضيوف في بلدنا.

أما الاحتلال فقد مارس الإرهاب من أول يوم دكت فيه طائراته أرض الوطن، واستباحت صواريخه دماء الأبرياء الذين سقطوا صرعى وهم في بيوتهم آمنون، مارس الإرهاب من أول لحظة ترك فيها اللصوص وقطاع الطرق والمرتزقة يعيثون في الوطن فسادا، بحجة الحرية الموعودة، وشجعهم على سرقة أموال الدولة ودوائرها ومكاتبها خاصة المتحف العراقي ولم يحافظ المحتل إلا على وزارة النفط، الهدف الأساس الذي جاء من أجله.

لا أحد يرضى بالاحتلال وقد جثم فوق صدورنا كأمر واقع مرير، فهو عنصر بغيض اقتحم أرضنا عنوة وأذل شعبنا بالرغم مما يقال عنه كونه جاء محررا من طاغية النظام السابق الذي له أكبر الفضل في مجيء الاحتلال، ولكن بالمقابل لا يحق لنا أن نختلف على جلائه بالاقتتال بيننا، فقد ذهب ضحية - حوار السلاح - المئات من أبناء هذا الشعب بشكل مجاني، وكأنه لا توجد وسائل أخرى للحوار غير القتل والدمار، فقد اختلطت الأوراق بين ما يسمى بالمقاومة، والفعل الإرهابي الذي تمارسه جهات مدفوعة من خارج الوطن أو من داخله، استهدفت الأبرياء من العراقيين، واستباحت دماءهم، عربا وأكرادا سنة وشيعة، صابئة ومسيحيين، فمن هو الإرهابي إذاً ومن هو المقاوم؟

أستحضر هنا مثال تجربة المقاومة الإسبانية في زمن فرانكو، التي عرف عنها أنها كانت عندما ترصد العدو متحصنا في منطقة سكنية أو في كنيسة أو في متحف، كانت تتراجع حفاظا على أرواح الأبرياء وحفاظا على الممتلكات وبذلك كسبت ثقة الشعب الإسباني، وكذلك كسبت ثقة الشرطة الإسبانية التي أصبحت فيما بعد عمقا استراتيجيا للمقاومة بفضل حسن تصرف المقاومة، والأخلاقية نفسها مارستها المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي وحتى المقاومة الفلسطينية ذات التجربة العريقة في ميدان القتال، لم تصطدم يوما بالسلطة الفلسطينية ورجالها بالرغم من مؤاخذاتها على السلطة واختلافها معها، وفي تقديري فإن الجهة التي تستهدف الشرطة والجيش العراقيين والأبرياء من المواطنين وتفجر السيارات في الشوارع العامة بحجة مرور آليات عسكرية محتلة فيصاب جندي أمريكي واحد ويذهب ضحيتها عشرة مواطنين عراقيين، هي جهة لا تحمل صفة المقاومة الحقيقية طالما ترصد إخوانا لها في الوطن بالقتل العمد مع سبق الإصرار، وحتى إذا كان عن طريق الخطأ، إن الشرطة في كل العالم تمثل سلطة القانون التنفيذية وهي تعمل من أجل الحفاظ على أمن المواطن من تجاوزات قطاع الطرق واللصوص والمحتالين ومن دون هاتين المؤسستين إلى من يلجأ المواطن العراقي في حالة الفوضى ؟

والغريب أن نجد نسبة ضحايا الشعب العراقي بسبب التفجيرات والسيارات المفخخة أعلى بكثير من ضحايا المحتلين، ومن المخجل بمكان أن نوجه بنادقنا إلى صدور أخوتنا وأبنائنا في الوطن شرطة كانوا أم غير ذلك، عندما لا نتمكن من تسليطها إلى صدور المحتلين الغزاة.

وسواء" أكان لرواية أبي مصعب ألزرقاوي أساس من الصحة أم لم يكن فإن الصحيح الذي لا يقبل الشك هو أن العراق مستهدف شعبا ووطنا من قبل جهة أو جهات مختلفة تعمل بوعي وتخطيط كبيرين في اتجاه خلق مناخ يساعد على إغراق الوطن الغالي في حمامات من الدم على يد أبنائه بعيدا عن مواجهة العدو المحتل، وصولا إلى حرب أهلية يواجه فيها العراقي صراعا عنيفا مع أخيه العراقي، وذلك من خلال دق إسفين الفتنة في هيكلة وحدته وزرعها بين أطيافه وطوائفه خصوصا بين السنة والشيعة، وما عمليات الاغتيالات وكذلك تفجير بعض المساجد والحسينيات إلا دليل واضح على تنفيذ هذا المخطط الرهيب الذي دفع الكثير من الأبرياء من دمائهم وأرواحهم ثمنا رخيصا من جراء تلك الأحداث الأليمة ومازال في الأفق بقية.

أعتقد بأن هاتين الكلمتين- سنة وشيعة- هما صفتان دخلتا الإسلام من باب السياسة وليس من باب الفقه والدين، وفي عهد أول الصراعات الإسلامية على السلطة والذي شهد حربا نازفة بين معاوية بن أبي سفيان والخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب، كان مصطلح الشيعة ينعت به أتباع كل من علي ومعاوية، فقيل شيعة علي وشيعة معاوية، والغريب أن نجد اليوم أكثر من أي زمن مضى تفاقم الشيع وتناسل السنن، ومن غير المنطق اختصار أفق رسالة الإسلام العظيمة في نفق الانتماء الشيعي أو السني الضيق، ومن غير المعقول أن نجعل المسائل الفرعية تحتل مقام المسائل الأساسية وأن نتمسك بالوسائل على حساب الغايات، وأعتقد بأن كل من يستثمر الطائفية لأغراض سياسية فإنه لا محالة يسيئ إلى الإسلام، ولعمري إن ما يجري في العراق اليوم ليست له علاقة بالدين ولا بالمقاومة، وإنما هو صراع على السلطة وسباق لكسب المناصب بعيدا عن هموم الشعب العراقي.

لقد ساهم العديد من القنوات الفضائية العربية بشكل مقصود للأسف- في ترويج الصراع الطائفي في العراق، واتخذت من جراح العراقيين مادة دسمة لتسويق برامجها، وإن كانت على علم مسبق بأن مثل تلك البرامج ليست سوى معاول هدم لا تزيد العراق إلا خرابا كبيرا ولا العراقيين إلا جراحا أكبر، فعملت على تضييف عناصر متطرفة من السنة والشيعة في إطار مواجهات كلامية واهية فيها من المهاترات والمزايدات أكثر ما فيها من النصح والإرشاد لتوحيد الصفوف، وعملت على وخز تلك الشخصيات بمسامير التفرقة من أجل استشاطتها أمام الملايين من المشاهدين الذين رأى بعض منهم -الأكثر تخلفا والأشد مغالاة في الانتماء الطائفي من الجانبين - فرصة للتعبير عن هذا الانتماء بطرائق سلبية وعدوانية.

نحن في ظل التكتلات الدولية التي أصبح معها كل أوربا بمختلف أجناسها وقومياتها واختلاف لغاتها ومذاهبها دولة ذات عملة واحدة وسوقاً تجارية واحدة وربما حتى سياسة واحدة، لم نتمكن من توحيد صفوف شعب واحد لا يتجاوز عدد سكانه بضعة ملايين، إن المحنة الحقيقية التي نعيشها هي أننا نعلم علم اليقين بأن هناك محاولات كثيرة من قبل أطراف لا تتمنى الاستقرار للعراق تعمل باتجاه استدراجنا، إلى حلبة المصارعة لنتقاتل كالإخوة الأعداء، من أجل أن تتسلى بدمائنا وهي تسيل أنهارا، ونحن في مثل حالتنا المتوترة والمتشابكة هذه نشجعهم على ذلك، فالجميع يتحمل وزر ما آل إليه عراقنا الغالي من هذا الوضع المتردي.

إن المسؤولية الكبيرة اليوم تقع على عاتق القادة وأصحاب القرار السياسي والديني ورجال الثقافة وستكون مسؤولياتهم أمام الله جسيمة لو لم يتداركوا الأمر سريعا لوقف هذا الزحف (حرب الطائفية) الذي سيشعل نار الفتنة على رؤوس الجميع ويعمل على بلقنة العراق وتمزيقه، فعقلاء القوم في كل مجتمع هم الرأسمال الحقيقي لذلك المجتمع، فإما أن يوصلوه إلى بر الأمان وإما أن يرسلوه إلى الهلاك.

دعونا نفكر ونعمل بجدية أكثر من أجل الوطن قبل أن يضيع سدى، بعيدا عن الانتماءات العرقية والطائفية والحزبية وبعيدا عن المناصب والمكاسب الشخصية، دعونا نتحاور بالتي هي أحسن رحمة بالمواطن العراقي المقهور، دعونا نجد صيغة حضارية لممارسة الحوار البناء من أجل السلام والحرية والديمقراطية، وهذه ليست دعوة لمذهب جديد، إنها استغاثة صوت الوطن، صوت الشعب الذي تعب من المحن والحصارات والحروب علما بأن الاحتلال لن يزول إلا باتحادنا وبتماسكنا وبتكاتفنا، وسيبقى ويستمر بالبقاء مستفيدا من خلافاتنا وتمزقنا، ولا سبيل للعراقيين في الخلاص من مأزقهم المر في ظل ظروف الشدة سوى بالوحدة الوطنية.

رحم الله شهداءنا الأبرار